

## كلمة الاشتيام

### في شعر البحري

لعل لفظ [الاشتيام] لم يسمع الا في شعر البحري من قصيدته التي اولها  
[ ألم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من نشر الرياض المنشر ]  
وهي التي مدح بها [ أحمد بن دينار ] والي البحر في العهد العباسي : فان هذا  
الوالي [ أو نسيمه امير البحر ] أنشأ بارجة غزا عليها بلاد الروم . فمدحه البحري  
بالقصيدة المذكورة : ومما جاء فيها قوله :

[ ولما تولى البحر والجود صنوه غدا البحر من أخلاقه بين أبحر ]  
ثم وصف سير سفائن الاسطول فقال :

[ غدون على الميمون صبيحاً وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر ]  
وأراد بالمركب الميمون البارجة الجديدة التي أنشأها الوالي وكلمة [ الميمون ] تقع عادة في  
جملة فصيحة يدعون بها للمسافر فيقولون [ سرّ على الطائر الميمون ] أي كن سعيداً  
في سفرك . ثم وصف البحري أدب ملاحه [ أحمد ] فقال :

[ بغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر ]  
وقد فسروا [ الاشتيام ] برئيس المركب كما يأتي . وأطلقه البحري على أحمد  
المذكور . فهو يقول ان ملاحه اسطوله يهابونه فهم بغضون دونه أبصارهم مطرقين  
واقفين كما تقف صفوف الناس للأمر العظيم اذا مرّ بهم .

واذا هاب الملاحون رئيسهم أحمد فما علينا نحن أن نهاب شاعرنا البحري  
ونجراً على نقده ذلك أن شعره هذا يشبه قول من قال :

[ كأننا والماء من حولنا قومٌ جلوس حولهم ماء ]

أليس مأل معنى بيت البحري تشبيه النوتية الواقفين لرئيسهم بسماط الناس  
الواقفين لأمرهم وسماط القوم صفهم كما في القاموس .

وليس شأننا في هذه المجالة أن نقدر ماعث في شعر البحري من الأغلاط  
وانما شأننا هو تحليل معنى كلمة [الاشتيام] الواردة في شعره ومن أي أصل انتزعت  
لم تذكر المعاجم هذه اللفظة . بلى ذكرها صاحب التاج في غير مادتها اعني  
[ش ي م] ، ذكرها في مادة [رب ع] :

قال القاموس [والمربع كمحسن شراع السفينة الملاءي] فعلق [التاج] على قوله  
هذا قوله (والرومي شراع<sup>(١)</sup> السفينة الفارغة ، والمتنظة مقعد الاستيام وهو رئيس  
الركاب] وقال في مادة [لم ظ] [والتنظة مقعد الاستيام وهو رئيس الركاب  
والملاحين كما في التكملة] وقال [ومثله صاحب اللسان] في مادة [م ل ط] [والتنظة  
مقعد الاستيام ، والاستيام رئيس الركاب اه] وقد وردت كلمة [الاستيام] في  
عبارات التاج بالسین المهملة أما في عبارة اللسان فبالشين وهو الصواب كما هي في  
ديوان البحري وكما هي في كتاب [عبث الوليد]

ومع كل ما ذكرنا من قول البحري وتعقيلات التاج واللسان على كلمة [الاشتيام]  
بقي أمرها غامضاً علينا حتى عثرنا في كتاب [عبث الوليد] لأبي العلاء المعري على  
شيء من التحقيق في تحليل معنى هذه الكلمة وأصلها . قال ابو العلاء معلقاً على قول البحري  
[بغضون دون (الاشتيام) عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر]

ما خلاصته [الاشتيام لم يذكرها المتقدمون من علماء اللغة . فاذا سئل من يركب  
البحر عنها قال: البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام  
فان كانت كلمة الاشتيام عربية كانت مشتقة من شام البرق يشبهه اذا نظر اليه  
ليعلم إن كان ممطراً أو لا ورئيس المركب يكون عالماً بشؤون البروق والرياح .  
فهو تسمية بالمصدر كقولهم: رجل زوزر اي زائر ، وفي البحر سمكة عظيمة تعرف  
بالاشتيام أيضاً . فلعلها سميت باسم رئيس المركب . كأنها رئيسة السمك . فهزة  
الاشتيام على هذا (أي على كونها عربية) همزة وصل وقد قطعت للضرورة وان

(١) اما السفينة نفسها فان كانت ملائي أي مشحونة سميت فامدة وآمدة وخن وان كانت

فارغة سميت جفاية بضم الجيم اه قاموس وتاج

كانت الاشتيام لفظة أعجمية فهمزتها همزة قطع [ انتهى قول ابي العلاء . وهو ظاهر في ان الاشتيام بالشين المعجمة لأنه جعلها من شام البرق وان معناها رئيس المركب وانها يحتمل أن تكون عربية كما يحتمل أن تكون أعجمية . هذا ما أمكننا أن نعثر عليه من أقوالهم في تحليل كلمة [ الاشتيام ] وإذا كان لمثلي الحق أن يزيد على ما قالوه فأعلق عليه قولي :

احتمال أن تكون [ الاشتيام ] عربية احتمال بعيد لأن المعاجم لم تذكر في مادة [ شام ] ان الاشتيام اسم لرئيس المركب وكذلك لم يرد اشتام البرق بمعنى شامه فهي في غالب الظن أعجمية وعلى القول بعجمتها لم نر أحداً منهم أشار الى أصلها الأعجمي . وأرى أن أصلها فارسي وهو ( آشنا ) بهمزة ممدودة في أولها والالف مقصورة في آخرها : قال شمس الدين سامي في قاموسه المشهور [ آشنا صفة فارسية يوصف بها الشخص الواقف على حقيقة الشيء ومن له علم به والخبير ] . وفسرها صاحب معجم [ كنز لغات ] بقوله [ آشنا : عربيف . خبير . سباح . عوام ] فقوله : [ سباح ] يدلنا من معرفة معنى كلمة [ آشنا ] التي حرفت الى [ الاشتيام ] وأن [ آشنا ] بعد ان كان معناها السباح في البحر عادوا فأطلقوها على رئيس المركب الذي لا يمكن إلا أن يكون خبيراً بالسباحة ذاعلم بها . والا [ أضع كل عمره ] ثم إن ملاحي بحر الحجاز تلامذة ابن ماجد [ الريان العربي المشهور ] سمعوا نواخذة الفرس يصفون ربان السفينة بأنه [ آشنا ] أي خبير بسلوك البحر . وتكرر منهم هذا السماع فتلقفوا الكلمة وعربوها فأدخلوا عليها الالف واللام في أولها والهمزة في آخرها وقالوا في أحاديثهم عن البحر . فلان الآشناء سافر . وفلان الآشناء قدم . وفلان الآشناء غرق وهكذا . ثم ان النساخ - أو نساخ ديوان البحري الذي ربما كان هو أول من وصل اليها استعماله لكلمة [ الآشناء ] - هؤلاء النساخ حرفوا [ الآشناء ] الى [ الاشتيام ] . وما أكثر ما يقع التحريف في الكلمات ذوات الأسنان والنقط أما همزة [ الاشناء ] الأخيرة فقد حرفت الى الميم ذات الذنب القصير [ م ] ثم ان تعريب [ آشنا ] بالآشناء يشبه تعريب [ كهربا ]

بالكهرباء وشيياً بالسيياء مرة وبالكيمياء مرة أخرى فزادوا [أل] في أولها والهمزة في آخرها علي أنه يحتمل أن تكون زيادة الهمزة الأخيرة ليست من [عملية] التعريب في شيء . وإنما هي ضرورة شعرية لجأ إليها البحري لاقامة وزن البيت . وفي اشعار ديوانه شواهد على ذلك . منها قوله [والقنا قد أسال فيهم قناء] القنا الاولى الرماح و [قناء] الثانية جمع [قناة] التي معناها مجرى الماء ولا يخفى أن جمع قناة بهذا المعنى [قنا] بالف من دون همزة لكن البحري همزها وقال [قناء] لضرورة الشعر أو ضرورة القافية . ومطلع هذه القصيدة ( ياأخا الأزد ما حفظت الايحاء ) قال ابو العلاء في ( عبث الوليد ) عند شرحه لكلمة [قناء] ومد المقصور سائغ وقد كثر في اشعار المحدثين وقل في أشعار المتقدمين . ومنه قول الشاعر :

[سيغيني الذي أغناك عني فما فقر يدوم ولا غناء]

قال ( غناء ) بالمد وهو في كلام العرب مقصور لأن المراد به الاستغناء بالمال

لا التغني بالنشيد وقال البحري أيضاً :

[وجحاجحُ الأزد بن غوثٍ حوله فرقا يهزؤون اللحاء الشيبا]

وعلق ابو العلاء على ذلك قوله [اللحاء بالمد اصله الحى فهو من باب مد المقصور]

فعلى ما تقدم يحتمل ان يكون البحري في قوله [الآشناء] قد مد الالف المقصورة لاقامة وزن البيت لا لأجل التعريب ويكون تعريب [الآشنا] بالف مقصورة في آخرها كتعريب مرعزي ومصطكا وكراويا

والخلاصة : أن [الاشتيام] في بيت البحري محرف عن [الآشناء] و [الآشناء]

تعريب [آشنا] الفارسية بمعنى الخبير بالسباحة ثم استعمل وصفاً أو اسماً لرئيس المركب لكنه استعمال لم يشتهر في لغة الأدب وبقي في دائرة ضيقة الحدود . نعتمد على هذا الحل في تصحيح كلمة [الاشتيام] ريثما تقع على نسخ أخرى لأشعار البحري ومخطوطات ديوانه أو على نصوص في كتب اللغة غير التاج واللسان تبين منها حقيقة كلمة [الاشتيام] واشتقاقها فنعرف إن كانت عربية أو معربة والسلام .

المغربي